لأنـك لا تعرف إنسـاناً غـيره في هذه المـدن. وعلى هـذا تبعتُك. ورغب جميع الإخـوة في مـواكبتي. فـرحيلك قـد أحـزنهم وهـزّهم. لـو كـان في وسعي فقط إعادتك إلى بستان النخيل لابتهجت «الجماعة» كلّها. فما من أحد، هل تسمع، مـا من أحد سـوف يفكّر في مؤاخـذتك عـلى أي شيء، وسيكـون في مقـدورك الكلام بصوت مرتفع، وعرض أفكارك...

كان وجه «ماني» يقسو أكثر فأكثر عند كل كلمة من كلمات أبيه.

ـ إذا كنتَ قـد أتيتَ لتقـول لي هـذا فقـد كـان من الأفضـل لـو بقيتَ عنـد «أصحـاب الملابس البيضـاء». اعلمْ مرة واحـدة وأخـيرة أني لن أرجع أبداً إلى بستان نخيلك، فأنا لا أنتمي إلى هذه الديانة.

ـ وأنا يا «ماني»، هل فكّرت لحظة فيَّ؟ لقد هجرت الدنيا ومتاعها، وهجرت زوجي لأعيش مع هذه الجماعة ظانّاً أني سأجد هناك الطهارة والأُخوّة، وهـا إنّ ابني يقـول لي إنّ التضحية بحيـاة كاملة كـانت بلا جـدوى. ولو أصغيت إليـه لأنكـرت كلّ مـا قد نـذرت لـه نفسي، ولـو ظللت متعلّقـاً بـالجـماعـة لفقـدتُ الشخص الوحيد القريب إليّ. ليس لي غيرك في هذه الدنيا.

ـ ابقَ معي إذن. أصـغِ إلى كلماتي. وإذا كافـأتِ انتظارك تبعتَ طـريقي كما تبعتَ في الماضي «سيتابي». وإلّا رجعتَ إلى بستان النخيل.

لقـد كلّم «ماني» أبـاه وكأنّـه يكلّم غريبـاً. أو خصماً. فقـد كـان جميـع مـا بـاح بـه «پاتيـغ» من عواطف بمثـابة تهجّم وعـدوان، وبدا لـه كل تلميـح بربـاط القربى بينهـما في غير محلّه. وكـان «مالكـوس» و«كْلُوويه» يـراقبان المشهـد بـاستحيـاء، شاهديْن منزعجيْن على تصفية حسابٍ بين مصيريْن. فالأب كان قد أخضع ابنه وجميع ذويه لنزوات ضَياعه الورِع. وها قد برز الآن الانتقام غير الحقيقي: فقد سقط «پاتيغ» فجأة على ركبتيه، وكأنما حدث ذلك بفعل دفعة إلٰهية.

ـ سـأبقى معك يـا «ماني» وأُصغي إلى أقـوالك جـاهـداً في إدخـالهـا قلبي. افرضْ عليّ يديك فأكون أول مريديك.